نظريات الهجرة وعلاقتها بالجندر: نحو مقاربة جديدة

- **صبيحة كيم**
- **جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم** kimesabiha@yahoo.fr

الملخص : يتناول هذا المقال نظريات الهجرة وعلاقتها بالجندر، إذ تطالب هذه المقاربة الجديدة أخذ بعين الإعتبار إختلاف دراسة الهجرة النسوية عن دراسة الهجرة الرجالية، فالهجرة النسوية قد أصبحت من "الظواهر المرئية" ويجب فهمها من منظور بناء اجتماعي، حيث أن فعل المهاجرة ينطلق اليوم من خلال قرارها وخطابها وتجربتها في الهجرة عبر مسارها الشخصي والعائلي، حيث أصبحت فاعلة حقيقية لقرار هجرتها لتعرف هذه الأخيرة تحولات سوسيوثقافية لمكانتها ووضعها الإجتماعي، مما منحها استقلالية ذاتية أكبر من قبل والتي تجرأت من خلالها باتخاذ قرار الهجرة والإنخراط في حراك الهجرة الدولي موازات بالرجل.

الكلمات المفتاحية : الهجرة النسوية، نظريات الهجرة، الحراك الدولي، الهجرة النسوية السرية.

Migration Theories and its relationship with gender: towards new approach

Astract-We discussed in this article migration theories and its relationship with gender, for what this new approach demand to take into account the difference of study between the women migration and the men one. Women migration became one from "visible phenomenon" and it is necessary to understand it from social building perspective, whereas migration act start today through its migration speech and experience across its personnel and familial path, where it became real actor for it migration decision to know this later sociocultural transformation of it status and social position, which give itself autonomy greater than before and which dare through it by taking migration decision and the integration in the international migration mobility.

Key word: women migration, migration theories, international mobility, illegal women migration.

مقدمة:

تعتبر الهجرة ظاهرة إجتماعية معروفة في المجتمعات البشرية وذلك لرغبة الانسان الطبيعية في الترحال والتنقل من مكان إلا آخر، حيث يكون هذا التنقل عبر الحدود غالبا بطريقة قانونية والهجرة الغير قانونية هي ما يعرف بالهجرة الغير شرعية التي أصبحت هي "**الحدث الإجتماعي اليومي**"[1]. نظرا لمساسها بسيادة الدول المهاجر إليها. ففي بداية القرن الواحد والعشرين أصبحت الهجرة الدولية "عالمية" إذ تقريبا كل دول العالم عرفت هذه الظاهرة سواء من قريب أو من بعيد كبلد إنطلاق أو إستقبال أو عبور، حيث يعتبر هذا من أهم عوامل التغيير الذي عرفه العالم، وقد لعبت الهجرة دورا في التطور الإقتصادي والسياسي من خلال اعمارها للدول المناهرة من الحروب واعادة بناءها. وكان أغلب المهاجرين رجال يسعون وراء العمل والبحث عن حياة أفضل، أما اليوم فقد انضمت المرأة في حراك الهجرة، فهي تفوق أو تساوي نسبة الرجال منذ سنة 1990 فالهجرة النسوية عالميا أصبحت من الظواهر المرئية حيث تقدر بـ 48 % في العالم و51,9 % في اوروبا[2].

لقد عرفت الهجرة كظاهرة مكانتها في العلوم الاجتماعية من خلال مجموعة من النظريات والاتجاهات الكلاسيكية والحديثة، إلا أنها أغفلت **البعد الجندري** في نظرتها، هذا يعني عدم الاهتمام بالنساء كفاعلات حقيقيات في ظاهرة الهجرة كما نراه في أعمال **عبد مالك صياد**[3] مؤسس علم إجتماع الهجرة، والذي حصر ذكره للمرأة المهاجرة في الإطار العائلي كتفسير بسيط لتواجدها كزوجة وإبنة المهاجر، مع إهماله لوجود الهجرة النسوية الفردية، الذي شكل تحيز كبير للباحثين لإعتبار ظاهرة الهجرة، ظاهرة ذكورية محضة. فالإنطلاقة الفعلية لدراسة الهجرة النسوية كانت في نهاية الثمانينات بفضل الباحثة **ميرجانة موروكفازك**[4] (Morokvasic Mirjana) بمقال عنوانه " الطيور المهاجرة من النساء أيضا" والتي شكلت نقلة مهمة بحقل البحث في المقاربة الجندرية للهجرة وإعتبره الكثيرون بروز للحركة النسوية في مجال الهجرة، وهي قطيعة مع الدراسات السابقة التي كانت تعتمد على الهجرة الذكورية فقط. كما بينته **موجود نسيمة** [5]، التركيز الغير طبيعي في دراسة هجرة المغاربيات وربطها بالعرق والدين بخلاف المهاجرات الأخريات في فرنسا (الإسبانيات، البرتوغاليات، التركيات...) وربطها بالمجال العائلي فقط وعدم الإعتراف بالهجرة النسوية الفردية كخلفية للسيطر الذكورية عبر التاريخ وتواجد الأفكار المسبقة في التحليل السوسيولوجي للدراسات الرجالية والذي أخر الإعتراف بالهجرة النسوية كموضوع للدراسة في حد ذاتها.

وهذا ما فتح الباب أمام أعمال أخرى محور دراساتها مرافقة المهاجرات في تنقلاتهن ومتابعتهن في تحقيق أهداف هجرتهن إلى بلد الإستقبال، وعلاقتها ببلدها الأصل مع تحديد سياسات الهجرة المتعلقة بهن وكيفية حمايتهن من التعرض للعنف والإستغلال. فرغم هذا لاتزال الدراسات محدودة والنظريات غير قادرة على التفسير الكلي للظواهر التي تتعلق بالهجرة النسوية، مثل التي نشهدها مؤخرا وهي ظاهرة الهجرة النسوية غير الشرعية في المتوسط، التي تعتبر من القضايا الشائكة التي تمس الكثير من المجتمعات اليوم والتي بالكاد يتعرض لها البحث

العلمي لإندراجها في خانة الطابوهات. لهذا سنوضح أكثر في هذا المقال مدى قابلية تفسير نظريات الهجرة كمقاربة جندرية وربطها عموما بالهجرة النسوية الجزائرية مع محاولة إسقاطها على دراستنا الميداني للهجرة الغير شرعية[6] النسوية بالمجتمع الجزائري.

أولا : ظاهرة الهجرة النسوية:

حتى سنوات التسعينات كانت الهجرة النسوية غير معروفة في الكثير من الأبحاث رغم تواجدها قبل هذه الفترة بكثير[7]، ولم تستعمل نظريات الهجرة المقاربة الجندرية للظاهرة، حتى أن بعض الدراسات التي تناولت الهجرة النسوية حصرتها في الدور الثانوي الذي قلل من قيمة قدراتها في إتخاذ قرار هجرتها، والتي أطلق عليها بمصطلح "الهجرة الخاملة أو الجامدة"[8] "migration passive". مثلما ظهرت المهاجرة الجزائرية في أعمال **عبد المالك صياد**[9] بشكل غير أساسي، مبررا هذا الأخير وجودها حتى العمر الثالث للهجرة الجزائرية حسبه، وتقدر نسبة الجزائريات في فرنسا بـ 14% من إجمال المهاجرات من جنسيات أخرى. ووصولها كان متأخرا مقارنة بالرجل نظرا لصعوبة حصولها على شهادة اقامة بعد سنة 1975 في اطار التجمع العائلي، مما أبقى المهاجرة الجزائرية في تبعية ادارية ومالية لأزواجهن.

فوجهت **قيليرمو فرانسواز**[10] (Guillemaut Françoise) إنتقادات للدراسات التي حاولت إخراج المهاجرة من عدم مرئيتها، بفكرة إتباعها لزوجها كتحليل وحيد لتيار الهجرة النسوي، وقد أدى إلى سوء اعتبار واهتمام للهجرة الفردية للمرأة بسب الأفكار المسبقة التي تتمثل في: الهيمنة الذكورية من خلال السوسيولوجيا والتاريخ، وعدم الإعتراف بالهجرة النسوية الفردية في المجتمعات هو عدم الإعتراف الطويل للمرأة في عالم سوق العمل الأجير. إنطلاقا من سنوات الثمانينات التي عرفت نقلة نوعية لتطور مجال البحث في الهجرة النسوية، وبفضل أعمال **تبوواد ليونيتي** (Taboada-Leonetti) **وليفي** (Levi) (1978)[11] التي تناولت هذه الدراسة توافد الهجرة النسوية لخمس دول (اسبانيا، البرتغال، الجزائر، المغرب و تونس) **وميرجانة موروكفازك** (Mirjana Morokvasic) (1976)[12] قامت بدراسة الهجرة النسوية اليوغسلافية، وكل من **لاكوست دوجردان** (Lacoste-Dujardin) (1990)[13]، **أدريان** (Andezian) **وستيرياف فينارت** (Streiff-fénart) (1981)[14] تناولوا دراسة حول الهجرة النسوية المغاربية. فكل هذه الدراسات حاولت المساهمة في إلقاء الضوء لوجود المرأة كفاعلة لهجرتها بتحديث المجال العلمي حول تيارات الهجرة في فرنسا خاصة، وهي تعد كمرجع مهم للدراسات الحالية في مجال الهجرة النسوية الذي يبقى في رأينا غير مواكب لسرعة التحولات التي تشهدها ظاهرة الهجرة النسوية الدولية.

ثانيا : المقاربة الجندرية : المهاجرة كفاعلة حقيقية في الحراك الدولي

يهتم الإتجاه الجندري كمقاربة جديدة لنظريات الهجرة بعامل التنشئة الإجتماعية للمهاجرة وإختلاف أدوارها ومكانتها عن الرجل، ومدى تأثير هذا على وضعيتها في مجتمع ما، لأن في أغلب المجتمعات كانت احتياجات النساء خاضعة لأسبقية حاجة الرجال، هذا ما جعل نتائج دراسة الهجرة النسوية تختلف عن دراسة الهجرة الرجالية. ورغم ادراج بعض الدراسات لفئة المهاجرات لتحليلها، فهي لا تزال متأثرة بالأفكار المسبقة، التي ترى كل من الرجل والمرأة في موضع متشابه. وترى **ميرجانة موروكفازك** [15] (Mirjana Morokvasic) أن عند استعمال نماذج تستعين بالهجرة الذكورية وربطها بالهجرة النسوية يوجد احتمال اهمال العوامل غير الإقتصادية (-nons économiques) التي تؤثر على قرار الهجرة، وتُبرز خصوصية تلك المهاجرات التي تصل إلى بلدان الإستقبال، وتحصر ذكر بعض الحالات مثل ولادة المرأة خارج اطار الزواج "الأمهات العازبات"، التعرض للعنف الجسدي، عدم القدرة على الطلاق، الرغبة في الهروب من القمع الجنسي والتمييز ضد فئات من النساء. وهذا ما تعتبره من الفئات المهمشة في المجتمع وتعد عوامل مسببة للهجرة، حيث تعاني تلك النساء من مشاكل إقتصادية وإجتماعية في بلدها الأصل. فربط عوامل متعددة هي التي تحدد مَنْ مِنَ النساء تهاجر وكيف تتأقلم وتندمج مع قيم وسلوكات مجتمع الإستقبال أو بالعكس كيف سترفض هذه القيم ؟

بدأت تظهر الهجرة النسوية كظاهرة عالمية "الظواهر المرئية" "un phénomène visible"، رغم غياب إحصائيات حديثة عن هذا النوع من الهجرة النسوية في الجزائر إلا أنه توجد بعض الإحصائيات لدول ميدا MEDA في سنة 2009 تشير إلى تواجدها بنسبة 44,2% نحو تسع دول أوروبية (ألمانيا، بلجيكا، اسبانيا، فرنسا، اليونان، ايطاليا، انجلترا، النمسا، هولندا)[16]. وتطور هذه الهجرة ليس بالكم فقط، فهي لم تقتصر على دول البحر الأبيض المتوسط (فرنسا، إسبانيا، إيطاليا) بل اليوم تتجه الهجرة النسوية نحو بلدان جديدة كتركيا هولنداو المملكة المتحدة وكندا، وأيضا منطقة الشرق الأوسط الإمارات المتحدة، الصين وأندونيسيا[17].

وفي الوقت الراهن أصبح فهم ظاهرة الهجرة النسوية على أنهن فاعلات إجتماعيات ولسن تابعات للرجل، حيث أن فعل المهاجرة ينطلق اليوم من خلال خطابها وتجربتها في الهجرة عبر مسارها الشخصي والعائلي، حيث أصبحت المرأة الجزائرية فاعلة حقيقية لقرار هجرتها لتعرف هذه الأخيرة تحولات سوسيوثقافية لمكانتها ووضعها الإجتماعي، مما منحها استقلالية ذاتية أكبر من قبل والتي تجرأت من خلالها باتخاذ قرار الهجرة الفردية، الذي سمح لها بالقيام بمشروعها باحثة عن شروط حياة أفضل والتي تتم في اطار اندماجها المستمر مع الحراك الدولي، الذي يظهر في النماذج التالية [18]:

- الحراك العلمي (طالبات، ذوات كفاءات عليا)
- الحراك الجمعوي (الإنخراط في جمعيات أورومتوسطية)
- الحراك التجاري الدولي (سيدات أعمال، تجارة الشنطة "ترابندو")

والذي يلفت الإنتباه هو إنضمام النساء في حراك الهجرة السرية "الحَرْقَّة" كما أوضحته جريدة الحرية [19] والتي تشير إلى تواجد الفاعلات في مغامرة الحرقة، ولم تتوقف أيضا بعض الصحف في السنوات الأخيرة من التصريح عن تواجد الحَرَّاقَاتْ بالقوارب عند القبض على المقبلين للهجرة السرية من قبل شرطة السواحل الجزائرية، مثل جريدة Le soir d'Algérie صرحت عن تواجد ثلاثة عشرة (13) حَرَّاقَة بمنطقة عنابة في فيفري 2008 وأشارت جريدة El Watan أن شابتين حَرَاقَتَيْن يتراوح سنهما 19 و 18 سنة قد أبحرتا من منطقة بطيوة (ولاية وهران) في ديسمبر 2008.أما في سنة 2017 فقدر عددهم أكثر من ثلاثين (30) حَرَاقَّة من إجمالي ثلاثة آلاف حَرَّاقْ.

ثالثا : نظريات الهجرة المعاصرة وظاهرة الهجرة النسوية السرية

أصبحت الهجرة كموضوع بحث ودراسة تعرضت له الكثير من الأعمال والنظريات في مختلف المجالات (الاقتصادية، الاجتماعية، النفسية والسياسية) بالمقاربات (ماكرو وميكرو) التي جمعها **فيكتور بيشي**[20] (Piché Victor) في كتابه "نظريات الهجرة" والذي أظهر من خلاله الأعمال الأساسية التي ساهمت بشكل مباشر على بناء نظريات الهجرة المعاصرة وفهم ظاهرة الهجرة انطلاقا من دول الأصل ودول الإستقبال والسلوكات الفردية، الشبكات الإجتماعية وسياسات الهجرة المتبعة، هذا تماشيا مع التطورات التي يشهدها حراك الهجرة الدولي. حيث تعددت الفئات المنخرطة فيه، مما ساهم في نضوج هذه النظريات وتطور دينامكياتها وتبنيها لرؤية جديدة معاصرة لتفسيراتها.

ونحن من خلال هذا المقال نريد ابراز ظاهرة الهجرة السرية النسوية كمقاربة جندرية مع محاولة تفسيرها عبر نظريات الهجرة المعاصرة، إنطلاقا من النصوص والأبحاث والإحصائيات التي تعرضت لمجال الهجرة في العصر الحديث، على غرار النظريات الكلاسيكية القديمة. فأول إسهام كان للباحث **ألان سيمونس**[21](Simmons Alain) بتعريف حديث للهجرة إذ يعتبرها: " تغييرا في الإقامة، تغييرا في العمل، تغييرا في العلاقات الإجتماعية"، فأراد التفريق بين أسباب الهجرة وآثارها، التي أضفت على الأبحاث الحديثة المتعلقة بالهجرة، كما تمس أيضا مستويات التحليل الميكرو والماكرو والميزو.

إرتأينا الإعتماد على هذه المستويات لعرض مختلف نظريات الهجرة المعاصرة وربطها بالجندر ليس كمتغير مستقل مثل المتغيرات الأخرى بل كمساهمة في البناء الإجتماعي لأنه يعكس العلاقات التي تربط كل من الرجل والمرأة وسياسات الهجرة المتبعة، مع التقسيم الجنسي للعمل في كل من مجتمع الأصل ومجتمع الإستقبال، وربطها بنتائج دراستنا السويسولوجية عن الحراقات[22]. إتبعنا المنهج الكيفي المتمثل في دراسة الحالة الذي كان ملائما مع إستعمالنا لتقنية المقابلة، فتم استجواب عشر (10) حَرَّاقَاتْ (الإناث فقط) من مختلف المناطق، سبع حراقات في بلد الإستقبال (إسبانيا وفرنسا) وإثنان مقبلات على الهجرة السرية ومهاجرة سرية مطرودة، وكل حالة منفصلة عن الأخرى، بفضل العينة القصدية، مع مساعدة المرشدين والوسطاء.

1.3.مقاربات ميكرو

1.1.3.نظرية إستثمار الرأسمال البشري:

بين **سجستاد**[23] (Sjaastad) أن الهجرة تشكل نوعا من الإستثمار في رأس المال البشري بقدر ما تعنيه من إستهداف بعض التكاليف للحصول على مقابل أعلى من العمل، فمن خلال دراستنا للهجرة السرية النسوية توصلنا إلى أن رغم ممارسة بعض المبحوثات للنشاط المهني (كعاملة ببنك، منظفة، حلاقة...) فهن يتذمرن من وضعهن هذا، فيرون أنهن في وضعية لا يستحقنها وأنهن لا يستطعن أن يبنين بما يحصلن عليه من مال مستقبلهن الذي يطمحن إليه فيركزن إهتمامهن في السعي للهجرة السرية تحت دعاية إمكانية الحصول على عمل في الخارج بمساعدة شبكات الهجرة وقناعتهن الشديدة بأن ما يحصلن عليه من أجر في بلد المهجر سيحقق لهن ما يتمنين من رخاء عيش ومساعدة العائلة في البلد الأصل.

فحسب تصريح **سامية** (34 سنة) : "كُنْتْ مَغْبُونَة بَزَافْ، الرَاجَلْ بْلاَ خَدْمَة وْ وَلْدِي خَاصَهْ مَصْرُوفْ وْدْرَاهَمْ خَدْمَتِي مَوْلاَوْشْ يَقَدُونِي فِي مَصْرُوفْ الدَارْ، قُولْتْ نَحْرَقْ ونْرُوحْ لَسْبَانْيَا نَخْدَمْ فِي الدْيَارْ وْنَرْبَحْ خِيرْ مِنْ هْنَا" وتشترك حالة **فاطمية** (42 سنة)في قرارها للذهاب مع زوجها والعمل بالمهجر من أجل ربح المال واستثماره في بلد الأصل، " رُحْتْ مْعَا رَاجْلِي، بَاشْ نَخْدَمْ وَنْدِيرُو les papiers، حَتَى فَامِيلْتُوا قَالُولَه خَلِيهَا تْرُوحْ وَتْعَاوْنَكْ".فالهجرة السرية تصبح فعل يقوم على المقارنة بين الوضع الحالي للفاعل والربح الصافي المتوقع من التنقل، ينتج عن التكلفة والربح. أما **شولدز تيودور وليام** [24] (Schultz Theodore William) يضع مفهوم للإستثمار في رأس المال البشري إسهاما كبيرا في مجال الاقتصاد، حيث أشار إلى ضرورة إعتبار مهارات ومعرفة الفرد شكل من أشكال رأس المال الذي يمكن الاستثمار فيه. فبعض المقبلات على الهجرة السرية عاملات ولهن دخل مادي مستقر، لكن يردن إستثمار جهدهم وخبرتهم في العمل ببلد أوروبي، للحصول على قيمة مادية أكبر.

ترى **مندوزا ميريام** [25](Mendoza Myrian) ، أن ما تحمله المهاجرة السرية كفاعلة في جوفها من تجربة في الحياة "un certain bagage" المتمثل في مجموعة من السلوكات المختلفة للمعرفة الحياتية والتأقلم مع "الوضعيات المفاجأة "débrouillardise و"مؤهلات فردية compétences" هي عبارة عن رأسمال بشري تستعمله عند الحاجة تعدله وتجدده حسب الحالات التي تكون فيها وذلك قصد المواجهة والخروج من الأوضاع المعقدة والصعبة، ايضا للخروج من وضعية الهجرة السرية. فالمستوى الدراسي والمؤهل غير كافي لضمان المهاجرة السرية ايجاد عمل والنجاح في تحقيق الأهداف المسطرة في مشروع الهجرة. "فالقفوزية" أو(الشَطَارَة) كما يسميها العامية في المجتمع الذي قمنا بدراسته كرأسمال هي ضرورية في مثل هذا النوع من الهجرة، تحتاج للمعلومات اللازمة التي تساعدها لإجتياز الصعوبات التي تواجهها الفاعلات في بلد الهجرة.

رغم المعلومات التي يتحصلن عليها "حَرَاقَّاتْ" الدراسة، ففي أغلب الحالات تتعلق بالوضعية الغير شرعية، فرص العمل المتواجدة في قطاع الخدمات مثل منظفة الأجر مرتفع بالنسبة لبلد الأصل، أمام هذا التصور يبقى مفهوم الإقامة غير الشرعية في بلد الإستقبال غير واضح بالنسبة للفاعلة فهي لا تستطيع إدراك والتحكم في المدة الكافية لإيجاد عمل، عن قيمة الأجر الحقيقي ومقارنته مع الأجر الذي ستتحصل عليه في مجال العمل غير الشرعي، المدة التي سيتم فيها تسديد الديون (تكاليف مشروع الهجرة السرية) والصعوبات التي تتلقاها إذا لم تحصل على وثائق رسمية (كتسوية وضعية).

وهنا يطرح **قوش بيمال** (Ghosh Bimal)[26] مسألة المعلومات التي تنتقل من الإشهار المخادع فهي معلومات خاطئة تؤدي إلى خلق وانتظار أشياء غير واقعية بالنسبة لفرص العمل الموجودة وشروط الحياة في دول الإستقبال. وهذا ما إكتشفناه في حالة **وهيبة** (32 سنة)التي كانت موظف بالبنك في الجزائر ثم تحولت إلى عاطلة عن العمل لعدة سنوات بالمهجر رغم حصولها على شهادة في التكوين المهني بأليكانت. " نَخْدَمْ شْوِيَا وْيَحَبْسُونِي خَاطَرْشْ كُلْ شِيءعَنْدْهُمْ بَلْكُونْتْرَا، كْتَلْنِي شُومَاجْ مْزِيَا رَانِي عَايْشَابِ l'aide social". فلا نستطيع الإعتماد على تفسير إقبال الفاعلات على الهجرة السرية من خلال نظرية الإستثمار البشري حيث الظروف التي تعيشها الحراقات تكون في بعض الحالات أسوء في المهجر عن بلدها الأصل.

2.1.3.نظرية الإقتصاد الجديد للهجرة :

تركز هذه النظرية على الأسرة كفاعل يسعى إلى تعزيز المنفعة أكثر منه المهاجر بمفرده لأن في نظرهم الهجرة في حقيقتها عبارة عن إستراتيجية أسرية تتوافق مع تنويع مصادر الدخل أكثر منها مع تحقيق أقصى دخل، وذلك للتقليل من المخاطر مثل: البطالة فقدان الدخل، عجز المحصول والخروج أو الإفلات من المعاناة. من هنا يتضح أنه كلما قلت العدالة في توزيع الدخل بمجتمع ما، إزداد الإحساس العميق بالحرمان النسبي (فهي تعيد إتخاذ الفكرة القديمة للحرمان النسبي **ستارك وتايلور**،1989) وبذلك تزداد الحوافز لحدوث مزيد من الهجرة. ترى **مندوزا ميريان**[27] (Mendoza Myrian)، أن الأسرة هي المحرك الأساسي لقرار الهجرة، وكأن هذا القرار تحدده الأسرة لأجل حمايتها من مختلف المخاطر التي يمكن التعرض لها ولدخلها ولملكيتها أيضا من الإضطرابات التي يعيشها سوق العمل، فإرسال أحد افراد العائلة أو أكثر كعمال في سوق العمل الأوروبي هو طريقة لتفادي هذه الأخطار والتصدي لها بتعدد مصادر الدخل. وهذا ينطبق على حالة **فتيحة** (29سنة) التي وجدت نفسها مسؤولة عن أسرتها بعد تقاعد والدها فقررت الذهاب إلى إسبانيا، "خَوْتِي صْغَارْ لَازَمْ عْلِيَّا نْرُوحْ بَاشْ نْعَاوْنْ وَالْدِيَا فِي قْرَايْتْهُمْ وْنَضْمَنْ مُسْتَقْبَلْهُمْ وْخَاطَرْشْ أَنَا لَكْبِيرَا، كُو نَبْقَى هْنَا مَا نْدِيرْ وَالُوا "، وحتى **سميرة** (34 سنة) وجدت نفسها بعد طلاقها المسؤولة الوحيدة عن طفلها وبسبب عجزها المادي قررت الذهاب لتحقيق حياة كريمة لإبنها، "رُحْتْ لَسْبَانْيَا بَاشْ نَخْدَمْ عَلَى وْلْدِي،خَاطَرْشْ بَعْدْ مَاطَلَقْتْ حَوُسْتْ عَلَى خَدْمَا وَمَالْقِيتْشْ، كَانَتْ عْلِيَا صْعِيبَة نْمَدْ يَدِي بَاشْ يَعْطُونِي دْرَاهَمْ، بَصَحْ كِي وُصَلْتْ لَسْبَانْيَا لْقِيتْ خَدْمَة، وْنَرْبَحْ غَايَا".

يعتبر قرار بعض الحكومات في احالة بعض عمالها للتقاعد والتقليل من اليد العاملة الضعيفة في القطاع العام الذي يعتبر قطاع التوظيف السائد نتج عنه أن الكثير من الأسر قد فقدت وظائفها وإنضمت إلى صفوف الشباب العاطل خاصة اصحاب التقاعد المسبق. كما أن إلغاء دعم الخدمات الإجتماعية أسفر عن تدهور المستويات المعيشية للأسر تأثيرا حادا. هذا ما جعلنا نستخلص أن الهجرة تعد حلا هاما لبعض الأسر لمواجهة الفقر والظروف المعيشية القاسية، لذلك يهاجر أحد أفرادها إلى دولة أخرى بحثا عن عمل ما لمساعدة الأسرة بأجره (مهما كان العمل أو قيمة أجره). فمساعدة المهاجر لأسرته من الناحية الإقتصادية كان للمساهمة في رفع مستواهم المعيشي وضمان مستوى تعليمي أفضل للإخوة. أما المرأة المتزوجة أصبحت هي من يأخذ قرار الهجرة لأنها مسؤولة عن عائلة أو "ربة بيت" وهذا حقيقة تعيشها النساء في مختلف أنحاء العالم الثالث. وهذه المسؤولية تُرغِمُهن على ترك اطفالهن عند آبائهن أو أحد أفراد الأسرة للتكفل بهم في المرحلة الأولى من الهجرة ثم تقوم بعد أشهر أو أكثر من ذلك الأسرة بإرسالهم الى بلد الإستقبال في حالة تسوية أوضاع الأم.

فالمرأة المهاجرة من أجل اسرتها عليها إرسال المال بإستمرار بطريقة منتظمة، ففي بعض الحالات تعتبر المهاجرة السرية المال الذي ترسله واجب أخلاقي عليها للتأكيد على حسن سلوكها وارتباطها الدائم بأسرتها. تقوم **هوارية** (38سنة) بتوفير مبلغ مالي لمصاريفها المختلفة ونصيب منه ترسله إلى أسرتها في البلد الأصل حتى أن والدها يفكر في إقامة مشروع تجاري (إقامة محل لبيع المواد الغذائية) بفضل هذه المساعدة المالية، "رَانِي نَرْسَلْ دْرَاهَمْ لْوَالْدِيَا كُلْ شْهَرْ بَاشْ نْعَاوْنْهُمْ، وْكِي خُويَا تْزَوْجْ أَنَا لِي عَاوْنْتَهْ، وْبُويَا بَاغِي يْدِيرْ حَانُوتْ رَاهْ حَابْنِي نْعَاوْنَهْ ".

3.1.3.نظرية الدفع والجذب:

تعتمد نظرية الدفع/الجذب Push/Pull في تفسيرها للهجرة على العامل الإقتصادي منذ القدم كمحفز ومحرك اساسي للهجرات الدولية والمقاربة لهذه النظرية تفضل العوائق الماكرو اقتصادية والامكانيات الخاصة للمهاجر. وتعتبر ان الفعل الهجري هو عبارة عن قرار وضعي ومنطقي، فردي والذي يتم من خلال ربط العلاقة ما بين العوامل " الدافعة " والعوامل "الجاذبة" وما بين منطقة الإنطلاق ومنطقة الوصول. فعندما استعان **جوليان براشيت**[28](Julien Brachet) بنظرية الدفع/الجذب في دراسته للهجرة السرية لشيوع تفسيرها لخطابات السياسية للهجرة الإفريقية لا يعتبرها من النظريات الأكثر حداثة بل هي النموذج الأكثر ظهورا في الدراسات العلمية.

وهناك من **الباحثين**[29] من يعتبرون أن الأسباب الجاذبة أكثر تأثيرا من الأسباب الدافعة، إذ المهاجرين اليوم ليسوا الريفيين الأميين أو الفقراء فقط، بل هم أفراد متحضرون ومتمدرسون أيضا إستطاعوا إدخار المال من أجل خوض المغامرة وهذا بإجتياز الحدود الدولية.وتنحصر غالبا العوامل الجاذبة في النقاط التالية :

- توسع مساحة الحراك بفضل إنخفاظ تكلفة السفر.
- وجود تضامن دولي ذو طبيعة عائلية، وثقافية، دينية ومؤسستية.

- تجارة شبكات الهجرة غير الشرعية التي تمنح الحراك للفئات المحرومة.
- تأسيس شبكات جديدة للهجرة نتيجة للعولمة كالهجرة الآسيوية نحو أوروبا.
- الحصول على جواز السفر بعدما كانت بعض الدول رافضة لحراك الأفراد في السنوات الماضية.

إذا أردنا إسقاط نظرية دفع/جذب على حالات الدراسة "الحَرَاقَاتْ" نجد أن الدوافع الطاردة كانت أكثر تأثيرا عن الدوافع الجاذبة وعبرت عليه بمفهوم "الهروب"، "نْرُوحْ وْمَا نْوَلِيشْ" (أريد الذهاب بدون عودة)، بَاغْيَا نْعِيشْ (أريد العيش)، **فوهيبة** (32 سنة) تشير إلى الصورة السلبية التي تحملها النساء المطلقات ومراقبة تحركاتهن دفعتها للذهاب إلى بلد آخر" فِي سْبَانْيَا مَاعْلَابَالْهُومْشْ مُتْزَوْجَة، مُطَلْقَة، عَازْبَة، عَنْدْهَا وْلَادْ مَا يْهَمْشْ، كَايِنْ قَانُونْ يَحْمِيهَا "، ومعانات كل من **هوارية** (العانسة) **وأمينة** (الأم العازبة) **وسميرة** (المطلقة) لعبئ المكانة والآلام التي يتعرضن له في حياتهن اليومية، لقيمتهن الهابطة في المجتمع. تقترب هذه النظرية لتفسير هجرة بعض الفئات الإجتماعية التي تعاني من تهميش إجتماعي وقانوني وإقتصادي في المجتمع كالأمهات العازبات، وأيضا العنف الذي تتعرض له المرأة والضغط الأسري (الأسرة الأبوية والمجتمع الذكوري) وحتى العنصرية نحو المرأة التي تنتمي إلى مهن غير معترف بها إقتصاديا وإجتماعيا.

الإنتقاد الذي وجهته **مندوزا ميريان** (Mendoza Myrian)[30] إتجاه نظرية الدفع/الجذب، لضعف تفسير قرار الهجرة السرية عند الفاعلات. ففي دافع الجذب نحن أمام وضعية إجتماعية هشة لهجرتها السرية التي تعيقها في الحصول على عمل رسمي ومربح والتي ترغمها على تحديد مساعداتها المالية للأسرة في البلد الأصل، أيضا تتعرض إلى إرهاق نفسي وضغط اقتصادي في بلد الإستقبال. أما عن دوافع الطرد كما هي محددة في البطالة والفقر والقلق الإجتماعي فهي خيبة أمل كما أن العنصرية تؤثر في قرار الهجرة لكن ليست بالضرورة أن تكون هي المحرك الأساسي لتيار الهجرة، لا يمنع الفرد من تحسين وضعيته الإجتماعية والمعيشية في هذه المجتمعات بعيدا عن الهجرة فهو يبني إستراتيجيات محددة في بلده الأصل كالتجارة غير الرسمية، والشبكات الإجتماعية القوية كالوساطة في المعاملات الإدارية.

2.3. مقاربات ماكرو

1.2.3. نظرية الفوارق الإقتصادية :

تؤكد نظرية الفوارق الإقتصادية على التطور الغير متساوي ما بين الدول، مثل جنوب أوروبا وشمال إفريقيا، فالرأسمال le capital هو الذي يحدد أغلبية الحراك وديناميكية نظام الهجرة. حيث يرجع تزايد تدفق الهجرة الدولية بتطور كبير إلى ازدهار الدول المتقدمة، وما سهل هذه الظاهرة هو العلاقة التاريخية المتمثلة في الإستعمار مما أدى إلى تبعية اللغة وحتى الايديولوجيا، ساهم هذا أكثر من تطور وسائل النقل والإتصال أو القرب الجغرافي. ويظهر عامل فرق الدخل الفردي ما بين الدول الغنية والأقل غنى كمشجع للهجرة السرية حيث أن في

سنة 2011 الانتاج الداخلي الخام (le Produit interieur brut) للساكن كان 29.800 ألف دولار في فرنسا مقابل 5.227 ألف دولار في أونغولا حسب **تقرير البنك العالمي** [31] ويشير هذا التقرير بارتفاع الدخل لبعض الدول في المناطق الفقير أكثر من الدول الغنية كمؤشر للتنمية، لكن مقارنة بدول أخرى التي يبقى فارق الدخل كبير مثل الدخل السنوي للسكان كان 2000 دولار في سنيغال، أما في الولايات المتحدة 40.000ألف دولار. نعلم أن فارق الدخل عندما يكون أكثر ضعفا من هذا يكفي أن يضاعف تواصل التدفقات ما بين الدول المجاورة ومن البديهي أن ضخامة الفوارق الديموغرافية والإقتصادية ما بين الدول المتطورة ودول العالم الثالث والمشاكل النقدية (العملة الصعبة)، كل هذا يزيد في تقوية الضغط نحو الإنطلاق وينمي أكثر تدفق الهجرة السرية.

تعتبر **مندوزا ميريان**[32](Mendoza Myrian)أن هذه المقاربة تحتاج إلى تداخل وتوازن ما بين دول الإنطلاق والإستقبال في نظام الهجرة، والبارز في مؤهلات المهاجر الذي يبحث عن العمل، إذ يعاني المهاجرون من تخفيض للمستوى التعليمي (الشهادة)، فيعملون في مجالات أقل درجة من مستواهم الحقيقي، فالدافع الحصول على العمل يعني الإقامة في بلد الإستقبال، فمجمل المهاجرين بالنسبة إليهم الحصول على عمل دائم يعني ارتفاع الأجر (إرتفاع الأجر بالنسبة للأجر في بلد الأصل) وأيضا استمرارية دخل ثابت، ففي هذه الحالة البحث عن عمل يمثل الحماية الإقتصادية فيتحول إلى عامل قوى في الدفع الى الهجرة أكثر من الفارق في الأجر ما بين الدول.لم تكن حالات الدراسة تتدمر من طبيعة عملهن (في مجال الخدمات) بل كان تخوفهم من الوقوع في البطالة وعدم قدرتهم من سد حاجياتهم وأيضا توقفهن عن إرسال المساعدات إلى أسرهن في بلد الأصل، **وهيبة** (32 سنة): "رَانِي نْحَوُسْ عَلَى لْخَدْمَة وْمَالْقِيتْشْ، المُهِمْ غِيرْ نَلْقَى حَتَى فَلْ نْوَارْ نَخْدَمْ (عمل غير رسمي)" ، ولا تكترث الحَرَّاقَة لقيمة العمل الأخلاقية، بل المهم هو ضمان دخل مادي من عمل فقط، مثل **أمينة** (25 سنة)التي فضلت أن تكون نادلة بملهى ليلي عوض منظفة، "المُهِمْ عَنْدِي نَخْدَمْ، وَنْجِيبْ دْرَاهَمْ بَاشْ نْرَبِي وَلْدِي، فِي نْهَارْ وَلَا لِيلْ كِيفْ كِيفْ".

إن تشغيل العمال الغير معلن عنهم (الغير رسميين) في بعض المجالات الإقتصادية هي خاصية موحدة تقريبا في كل بلدان الهجرة الوافدة، من أجل جني محاصيل الخضر والفواكه في (إسبانيا)، والمستثمرين الزراعيين لا يترددون في إستخدام المهاجرين السريين كعمال موسميين في مجال البناء، الصناعة (الملابس في فرنسا، الأحذية في إسبانيا، إلكترونيك في إيطاليا) والمطاعم والفنادق في كل أوروبا المتوسطية (المحاذية للبحر الأبيض المتوسط) وفي سويسرا والولايات المتحدة الأمريكية يستفيدون من خدمات المهاجرين السريين الدائمين. ما دام هناك تواجد لإقتصاد منغمر لمنح عمل غير رسمي في بلدان الهجرة الوافدة، فإن التنظيم الحالي للهجرات السرية يعتمد على وظيفة شبكات الهجرة المؤسسة في أوروبا وعلاقة القرابة أو الجيران لنفس العرق أو الديانة تجد لها صدى في التنظيم وفي عمل القنوات السرية للهجرة الدولية. فتبقى هذه النظرية محدودة في تفسيرها للنظام الهجرة أمام حالة الهجرة النسوية من أجل البحث عن الزوج في منطقة أخرى أو مجتمع آخر لكبر سنها، أو الهجرة من أجل الهروب من الضغوطات الإجتماعية.

2.2.3. نظرية ازدواجية سوق العمل :

وضع **ميشل بيور**[33] (Michael Piore) نظريته المزدوجة لسوق العمل والتي تتمثل في الهجرة الدولية إلى الطلب الدائم للعمالة الأجنبية الذي ينبع من بعض الخصائص الذاتية للمجتمعات الصناعية المتقدمة التي تؤدي إلى تجزئة أسواق عملها، بمعنى تقسيم الإقتصاد إلى قطاع أولي رأسمالي مكثف وقطاع ثانوي ذي عمالة مكثفة ومنخفضة الإنتاجية. ولأسباب عديدة، تحتاج الدول المتقدمة في إقتصادياتها إلى درجة كبيرة عمالا أجانب لشغل الوظائف التي يرفض العمال الوطنيون القيام بها وسبب هذا الرفض أن هذه الوظائف متدنية في الأجر وغير مستقرة، لا تتطلب مهارة وفيها جانب من الخطورة المهنية كما انها غير محترمة، فمثل هذه الوظائف تمنح مركزا متدنيا للمهاجر. إتجهت مباشرة حالات الدراسة "الحراقات"عند وصولها لإسبانيا وفرنسا للعمل في مجال الخدمات غير الرسمي، مثل التنظيف في المنازل، العمل بالمطاعم والحلاقة بالمنازل، فلم يتسنى للحَرَّاقَاتْ أن تعمل بشكل رسمي، حتى في حالة **وهيبة** الحاملة لشهادة لم تنصفها في إيجاد عمل ثابت.

وكان النقد الموجه للنظرية، هو أن حركات الهجرة الآن لا تبدو ناتجة بصفة أولية عن عمليات حشد العمالة وخاصة في الدول المتقدمة اقتصاديا، التي تعنيها النظرية مثل شمال أمريكا وغرب أوروبا، والدول الصناعية المتقدمة، يأتي معظم المهاجرين بمبادرة منهم وليس بالضرورة لشغل وظائف قائمة من قبل، ففي حالات كثيرة الوظائف لم تكن لتقوم لولا حضورهم المسبق.

3.2.3. نظرية النظام العالمي :

تؤكد هذه النظرية أن الهجرة الدولية هي نتاج للنظام الرأسمالي بسبب التطور الصناعي الذي عرفته الدول المتقدمة، وفتح أبواب سوق اليد العاملة على مستوى أوسع للدول المجاورة ودول من قارات أخرى، مما شكل تبادلات دولية للأيدي العاملة من خلال الهجرة، تشير **مندوزا ميريان**[34] (Mendoza Myrian) في دراستها على أن نظرية النظام العالمي تعتمد في تحليلها على نظام الهجرة المتبادل مع دولتين او اكثر فيتم تبادل المهاجرين ما بين الدولتين، فهذه العلاقة او ديناميكية الهجرة تُفْهم من خلال العلاقة التاريخية والثقافية والسياسية والاقتصادية ما بين الدول التابعة لهذا النظام، فهذه الرابطة متواجدة من قبل تبحث عن اصلها في الإستعمار، التأثير السياسي، الإستثمار التجاري والتبادل الثقافي. ويرى مؤيدوا هذه النظرية أن من نتائج تأثيرات العولمة، اعتماد اقتصاد دول العالم الثالث على الزراعة وتصدير المواد الخام مقابل اهمال الإقتصاد الصناعي، وهذا ما يفسر تدفق تيار الهجرة نحو مسار الدول المتقدمة.

يتجه تدفق الهجرة السرية النسوية لحالات دراستنا إلى إسبانيا وفرنسا وذلك لوجود روابط تاريخية وثقافية، كمعرفتهن للغة والعادات هذا ما سهل عليهن التأقلم، فيشعرن أنهن غير بعيدات عن بلدهن الأصلي كما تسهل عليهن العودة بفضل التنقل الجوي والبحري القريب. ورغم إمكانية الحراقات التي تمت تسوية وضعيتهن

الإدارية، كل من **وهيبة وفطيمة وفتيحة** فهي ترفض الإنتقال إلى دولة أخرى بسبب إمكانية الذهاب والإياب لبلد الأصل واندماجهن في المجتمع المستقبل بشكل سريع وملائمة القوانين لوضعيتهن، **فطيمة** (42سنة): " زَوْجِي بْغَا نْرُوحُوا نَسَكْنُوا فِي لَلْمَانْ (ألمانيا)، مَا بْغِيتْشْ رَانِي غَايَا فِي فْرَانْسَا كِي نَبْغِي نْرُوحْ لَلْبْلاَدْ تْجِينِي قْرِيبَة"، **وهيبة** (32 سنة): " بْغِيتْ نْرُوحْ لَفْرَانْسَا، بَصَحْ كَامَلْ قَالُولِي سْبَانْيَا خِيرْ، رَانِي لاَقْيَا رُوحِي نَشْرِي لَبْسَا وْنْرُوحْ نَدِيهَا لَلْبْلاَدْ وَنْبِيعْهَا، تْجِينِي قْرِيبَة بَلْبَابُورْ مَنْ أَلِيكَانْتْ لْوَهْرَانْ"

3.3. مقاربة ماكرو–ميكرو

1.3.3.نظرية الشبكات الإجتماعية :

عرف **دوجلاس ماسي**[35](Douglas Massey) شبكة الهجرة بأنها مجموعة الصلات المتبادلة بين الأفراد التي تربط المهاجرين المستقبلين وغير المهاجرين في مساحات المنشأ والمقصد، وذلك عبر صلات القرابة والصداقة، وأصل جماعي مشترك. فوظيفة شبكات الهجرة هي تقديم فرص ووسائل لتكيف المهاجرين حتى يقوم البعد الأكثر رواجا منذ عدة سنوات على ربط اشكالية شبكات الهجرة مع تنمية روح المبادرة العرقية .ويصفها **مبروك مهدي**[36] في كتابه على ضرورة ربط المهاجرين علاقات التي تشكل الشبكات للدعم الفاعل وذلك للتقليل من تكاليف الهجرة والرفع من إحتمال فرص هجرة الأفراد ذات الدخل الضعيف، كما تسمح أيضا هذه الشبكات بتوفير المصادر كالمعلومات والتمويل والإيواء، العمل، وتعلم السلوكات الإجتماعية والقوانين التي تسهل عملية الإندماج في النظام الهجري بصفة عامة.

تعطي **مندوزا ميريان**[37](Mendoza Myrian) أهمية كبيرة لشبكات العلاقات الإجتماعية معتبرتها "الرأسمال الإجتماعي المتمثل في قاعدة مادية ونفسية للمهاجرة"، فهي تتلقى المساعدة في بلد الإستقبال من طرف أحد أعضاء العائلة أو الأقارب أو الجيران أو الأصدقاء أو حتى أبناء الجالية الجزائرية وتتلقى المعلومات والحيل الإدارية. بعيدا عن الشبكة والعائلة كبنيات للهجرة مع إضافة البنيات الرسمية كالجمعيات والبنيات السياسية والإدارية، التي أنشأها المهاجرون بأنفسهم، وهذه المؤسسات تتكفل بدعم وتعزيز الهجرة التي تصبح في الأخير اقل تبعية للأسباب الأولية (الإقتصادية)، وحتى مؤسسات العبادة كالمسجد والكنيسة فهذه الأماكن تصبح مكانا للتجمع والتلاقي المنظم، كما تعد أيضا مصدرا يتبادل فيه المعلومات المتنوعة.

ويشير **مهدي مبروك**[38]إلى الخاصية الجديدة لنظام الهجرة الموسع والمعروف بـ"**العبور** le transnationalisme "وهو تجاوز الإطار التقليدي للهجرة المعروف بالنظام المحصور فقط على بلد الأصل وبلد الإستقبال، من خلال انخفاظ تكاليف النقل والإتصال أصبح من السهل عيش حياة مزدوجة هنا وهناك، أما في المجال الإجتماعي أين الأفراد والعائلات فهي تتبنى أكثر من لغة، سكن، وطريقة عيش، يتنقلون كثيرا بين البلدين يربطون علاقات عبر الحدود، والتي تأخذ خاصية إطار ومرجعية مختلفة في تعدد الثقافات والهويات.

إثر هذا يشرح **بورتيس ألخندرو**[39](Portes Alejandro) هذا الشكل من الهجرة كردة فعل "من القاعدة "par le bas "، أمام اعادة الهيكلة العالمية فهي استراتيجية للإلتحاق بتيار الإقتصاد العالمي، وبطريقة اخرى هو مقاومة الوضعية الجديدة التي يتواجد فيها المهاجر في بلد الإستقبال وذلك بعدم ترك له مجال الإختيار سوى الأعمال المنبوذة التي لا ترتبط بالطموح للتسلق الإجتماعي وهذا ما يشكل هشاشة وضعف خاصية ظروف المهاجر. كما وضح مجموعة من **الباحثين**[40]في كتاب جماعي بعنوان "**نظرة أخرى حول الهجرة**" تصور جديد بالنسبة لشبكات الهجرة، إذ يعتبرون شبكات الهجرة غير الشرعية لها دور كبير في مساعدة تنقل الفئات المحرومة، بدافع تعقد الاجراءات الإدارية المفروضة للحصول على تأشيرة السفر فهي تقدم خدمات من بداية السفر حتى الوصول إلى بلد الإستقبال، وهي شبكات دولية تضم عدة دول وتضع عدد مهم من الممررين، فبفضل هذا النوع من شبكات الهجرة الغير شرعية تم إنتقال عدد كبير من الشباب والشابات.

فالهجرة السرية تمثل في بعض الحالات ما يسمى "بالسياسة الجماعية" «politique communautaire». تعتبر هذه السياسة كجزء لا يتجزأ من شبكات الهجرة وهو نتيجة لحل الأزمات التي تتخبط فيها المجتمعات، لهذا توضع خطة واضحة للفاعلين لمواجهة مختلف الوضعيات وتساهم في وضع سياسة يكون هدفها الرئيسي والوحيد هو ضمان إستمرارية العيش، وهذا الأخير يسمح بإعادة انتاج شروط "**السرية**" clandestinisation فهذه السياسة الجماعية أصبحت نتائجها فعالة ضد الفقر، تعد الحاجة الأولية هي إرسال الأفراد لجمع المال إلى بلد المهجر وبهذا تحسين ظروف عيش العائلات في البلد الأصل وهي مسطرة ومنفذة من طرف الأفراد أنفسهم وبمصادرهم الخاصة. كما تجد الدعم والمساندة العائلية في كل من بلد الأصل وبلد الإستقبال (العائلة، شبكة الأصدقاء والمعارف، الجالية الأصلية في بلد المهجر).

حسب دراستنا توصلنا إلى أن مشروع الهجرة عند النساء يكون في المستوي التجريدي، ففي هذه المرحلة كن متخوفات من هذه المغامرة ومن صعب تحقيقها في الواقع، لكن لحظة إشتراك هذا المشروع الى شبكة وأفرادها المقربين، ومساعدة المتخصصين في الحَرْقَّة، تتغير المعطيات ويأخذ المشروع صورة جديدة، فيصبح واقعي وقابل للإنجاز. ففي حالة **سميرة** (34سنة) التي قامت بالحَرْقَّة مع صديق أخيها، و**فطيمة** (42 سنة) مع زوجها فهؤلاء الشركاء في الحرقة سهلوا على الحراقات الكثير من العناء والمتاعب ونرى أنه قد منحهن الشجاعة والحماية في مسار هجرتهن، وحتى **فتيحة (29 سنة)** و**هوارية** (38 سنة) فصرحتا أنهما ذهبتا مع "أَوْلَادْ الحُومَة"، **أمينة (25سنة)** وصديقها قرار القيام بالحرقة سويا، فالحَرَّاقَاتْ كانت تستعمل وسيط ذكر (يتمثل في شخص مقرب) لإنظمامها لمجال شبكة الحَرْقَّة التي تتميز بالسرية والخطورة وتضمن قبولها على متن القارب لأنه فضاء ذكوري فقط.

2.3.3. نظرية السلسلة الهجرية :

يعتبر مفهوم الهجرة بالتسلسل عبارة عن هجرة عبر مراحل، حيث تتكون من تنقلات متعاقبة من مساحة محيطة الى مساحة مركزية، يمر المهاجر في طريقه بمراحل مختلفة تسبق إكتسابه لسلوكيات جديدة. يرى **فبورتيس ألخندرو**[41](Portes Alejandro)، أن بغض النظر عن سياسات الهجرة التي تهدف الى مراقبة التدفق للتيار الهجري، فإن السلسلات الهجرة تقوى وتعيد انتاجها، ليظهر ذلك في بعض الدول كدول المغرب العربي التي تشهد تواجد للسلسلة للهجرية بشكل قوي، حتى أنه يسميها بعض الباحثين "الجماعة الدولية العابرة" communauté transnationale"، فرغم غلق الحدود لدول الإستقبال فتيارات الهجرة مازالت مستمرة لخلق بعض جماعات تجتاز الحدود الوطنية، بمعنى آخر تتواجد في كل من بلد الأصل وبلد الإستقبال في وقت واحد.

إستطاعت نظرية سلسلة الهجرة فرض نوع جديد من الحراك الدولي الذي أثار إهتمام الباحثين مثل **نينا قليك شيلار**[42] (Nina Glick Schiller) وآخرون، الذين لاحظوا إنتشارها وتميزها بخاصية تربط الدولة الأصلية بدولة الهجرة من خلال الشبكات والأعمال وطريقة العيش، يعرفونه بـ "العبور" كنظام من خلاله يتم المهاجرون ببناء علاقات متنوعة (عائلية إقتصادية، إجتماعية، دينية، وسياسية) التي تجتاز هذه العلاقات الحدود رابطة المجتمع الأصلي بمجتمع الإقامة. فالمهاجرات تتواجدن من خلال سلسلات الهجرة التي تدعمها وتتضامن معها مباشرة أو غير مباشرة وذلك عن طريق العائلة في البلد الأصل والتنظيمات الرسمية والغير رسمية في بلد الإستقبال، التي تسهل على هؤلاء الفاعلات القدرة على تواجدها كمهاجرة سرية.تَبَين أن الحَرَّاقَاتْ قد تمكن من تحقيق مشروع الحَرْقَّة بفضل الأقارب أو الأصدقاء أو الجيران المغتربين، فهذه الصلة تساعد بشكل كبير على توفير الإقامة وتقديم المساعدات المالية وتسهيل عملية التوظيف، فهم يمنحون الدعم بمختلف أشكاله.

لاعتبار مهمة سلسلات الهجرة إستقبال واندماج الحَرَّاقَاتْ في بلد الهجرة. وتتأسس هذه العلاقة أيضا لبناء أسرة التي بدورها تساعد على تسهيل الهجرة لأفراد آخرين كالزواج. إذ تمكنت **فتيحة** (29 سنة) الزواج من جزائري مقيم بفرنسا وهو كان صديق أقاربها التي كانت تقيم عندهم، وهي تفكر بدورها بمساعدة أخيها لتحقيق مشروع هجرته (الشرعي أو غير الشرعي)، وارتباطه بأحد أقارب زوجها المقيمات بفرنسا." كِيمَا وْصَلْتْ لَفْرَانْسَا وَحَمْدُ لله رَانِي تْزَوُجْتْ وْدَرْتْ لَوْرَاقِي، رَانِي حَابَة نْعَاوُنْ خُويَا بَاشْ يِجِي لَفْرَانْسَا، بَاغْيَا نْزَوْجَهْ مْعَ بَنْتْ خُتْ رَاجْلِي، بَاشْ هُوَ تَانِي يْدِيرْ مُسْتَقْبَلْ هْنَا".

خاتمة:

من خلال ما ذُكر سابقا تبين لنا أن هذه النظريات لا تهدف إلى تفسير الهجرة من حيث الجندر بالدرجة الأولى بل تعتمد على متغيرات مختلفة، كأن تكون الهجرة دائمة أو مؤقتة، شرعية أو غير شرعية، والذي يظهر على

أنه تفسير عام شامل للظاهرة بأكملها هو التركيز على حراك الهجرة الدولي، ولكن من خلال دراستنا للهجرة السرية النسوية، إكتشفنا أننا أمام ظاهرة إجتماعية التي يجب أن نضعها في إطارها الماكرو والميكرو وهذا من أجل فهم الهجرة السرية ودوافعها، فمن خلال تعرفنا على المهاجرة وطريقة حياتها اليومية ومنطق ممارساتها، إستطعنا وضع إزدواجية المقاربة، الماكرو (اختلاف الأجر، جذب اليد العاملة الرخيصة ،الفقر، الضغط الإجتماعي) والعوامل الميكرو (الشبكات، السلوكات، قناعات المهاجرة)، كل هذه العوامل تساعد على فهم تجربة الهجرة السرية النسوية.كما أشار إليه **بيشي فيكتور**(Piché Victor)[43] على أن الهجرة هي ظاهرة معقدة وتتشابك بها العوامل، فهي متعددة الدوافع ومتعددة المجالات وتضم ثلاثة مستويات أساسية، بلد الأصل وبلد الإستقبال، التحليل من خلال مقاربة ماكرو والميكرو، العوامل الإجتماعية والنفسية والإقتصادية والسياسية ولا نستطيع حصرها في عامل وحيد.

الاحالات و الهوامش :

1- Bertrand Badie, Brauman Rony, Decaux Emmanuel, Devin Guillaume, Wihtol de Wenden Catherine, "Pour un autre regard sur les migrations, construire une gouvernance mondiale", Editions la Decouverte, Paris, 2008, p 19.
2- ocde-nations unie, 2013.
3- Abdelmalek Sayad, "la double absence, des illusions de l'émigré aux souffrances de l'immigre", Editions du Seuil, Paris, 1999, p 269.
4- Mirjana Morokvasic, "Birds of passage are also women", International Migration Review, "women in migration", 18 (68), 1984.
5- Nassima Moujoud, "Genre et migration de femmes seules, entre androcentrisme et prisme de la culture d'origine ", Revue NAQD, n=° 28, 2010, p 60.
6- صبيحة كيم، "مشروع الهجرة عند الشباب الجزائري، دراسة سوسيولوجية عن الحراقات"، رسالة دكتوراه، غير منشورة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الإجتماع، جامعة وهران 2، الجزائر، 2014.
7-الهجرة النسوية التي عرفتها ارلندا في أوروبا، ما بين سنة 1845 **و** 1851 **بسبب الجوع، نحو كل من بريطانيا و أستراليا و كندا، وأيضا هجرة النسوية الإيطالية نحو فرنسا و أمريكا في نهاية القرن التاسع عشر.**
8-Sakho Papa, Binetou Dial Fatou, "Migration clandestine féminine, étude de cas de Dakar et sa banlieue ", CARIM, 2010/56, p 7.
9- Sayad Abdelmalek, op cit, p 269.
10- Françoise Guillemaut, "Stratégies des femmes en migration : pratiques et pensées minoritaires repenser les marges au centre", Thèse de Doctorat, Sociologie et Sciences Sociales, Université de Toulouse II, 2007, p273.
11-Taboada-Leonetti Isabelle, Levi Florence, "Femmes et immigrées insertion des femmes immigrées en France", La Documentation Française, Paris, 1979.
12- Mirjana Morokvasic, "L'immigration féminine en France : état de la question", Année Sociologique, Presses Universitaires de France, XXVI, 1976, pp.563-575.
13- Lacoste-Dujardin Camille, "Yasmina et les autres de Nanterre et d'ailleurs - Filles de parents maghrébins nés en France", Paris, La Découverte, 1992.
14-Andezian Sossie, Streiff-fénart Jocelyne, "Les Réseaux sociaux des femmes maghrébines immigrées en Provence-Côte d'Azur", thèse de 3e cycle, université de Nice- France, 1981.
15-Mirjana Morokvasic, "women in migration: beyond the reductionist outlook", in PHIZACKLEA A, pp 19-24.
16-Ville Jean Louis, "Etude migration féminine entre les pays MEDA et l'UE. Projet regional", EUROMED MIGRATION II (2008-2011), Dirigé par : GIZ, ICMPD, FIIAPP, université of Sussex, consulté le 15/12/2017.

http://www.enpinfo.eu/library/sites/default/files/StudyonWomenredGIZ_EUROMED_II_FR_LR.pdf.
17-Lakjaa Abdelkader, "Femmes algériennes dans le commerce transnational informel (trabendo), les acteurs, les réseaux, les espaces", Revue Kalim, de Science Humaines et Sociales, langues et littératures, l'Université Alger 2, n°3, 2014, p112.
18-Labdelaoui Hocine, "Genre et migration en Algérie", CARIM, 2011/12, p 07, consulté le 20/12/2017.
http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/15597/CARIM_ASN_2011_12.pdf?sequence=1
19- Djazia S, "Les femmes s'y mettent aussi", Le journal Liberté, 03 décembre 2008, n=° 4937.
20-Piché Victor," Les theories de la migration", INED, Paris, 2013, p 50.
21-Simmons Alain, " Explaining migration: theory at the crossroads ", édition Duchene j, explanation in the social science: the search for causes in demoghraphy, Louvainla-Neuve, Université Catholique de Louvain, belgique, 1987, p 74.

22- صبيحة كيم، المرجع نفسه، ص 230.

23- جواكين آرنجو، "تفسير الهجرة : المداخل المفاهيمية و النظرية"، الهجرة الدولية عام 2000**، المجلة الدولية للعلوم الإجتماعية، مركز المطبوعات اليونسكو، القاهرة، العدد** 165**، سبتمبر** 2000**، ص** 64.

24- راوية حسن ، "مدخل استراتيجي لتخطيط و تنمية الموارد البشرية"، الدار الجامعية ، الإسكندرية - مصر، 2002 **، ص**65 - 69.

25-Mendoza Myrian Carbajal,"Actrices de l'ombre la réappropriation identitaire des femmes latino américaines sans papiers", Thèse de doctorat, Faculté des Lettres de l'Université de Fribourg (Suisse), thèse non publiée, 2004, p 20.
26-Ghosh Bimal, "Huddled Masses and Uncertain Shores: Insights into Irregular Migration", The Hague: Martinus Nijhoff Publishers, 1998, In Monnier Laurent, note de lecture, Revue européenne de migrations Internationales, 1998, Volume 14, Numéro3, p 220.
27-Mendoza Myrian Carbajal, op cit, p 21.
28-Brachet Julien, "Migrations transsahariennes Vers un désert cosmopolite et morcelé (Niger)", Terra édition, 2009, p 53.
29- Badie Bertrand & all, op cit, p 19.
30- Mendoza Myrian Carbajal, op cit, p 24.
31- La banque mondiale, Croissance du PIB par habitant (% annuel), 2011.consulté le 03/01/2018. https://donnees.banquemondiale.org/indicator/NY.GDP.PCAP.KD.ZG
32- Mendoza Myrian Carbajal, op cit, p 18.

33- جواكين آرنجو، المرجع نفسه، ص 66.

34- Mendoza Myrian Carbajal, op cit, p 26.
35- Ville Jean Louis, op cit, p36.
36- Mehdi Mabrouk, "Voiles et sel, culture, foyers et organisation de la migration clandestine en Tunisie", les Éditions Sahar, Tunis, 2010, p 28.
37- Mendoza Myrian Carbajal, op cit, p 27.
38- Mehdi Mabrouk, op cit, p 29.
39- Portes Alejandro, "La mondialisation par le bas l'émergence des communautés transnationales", Actes de la recherche en sciences sociales, n=° 129, 1999, p 16.
40- Badie Bertrand & all, op cit, p 24.
41- Portes Alejandro, op cit, p16.
42-Glick Schiller Nina, Basch Linda, Szanton Blanc, "From Immigrant to Transmigrant: Theorizing. Transnational Migration", Anthropological Quarterly, vol 68, n=° 1, 1995, p50.
43- Piché Victor, op cit, p 55.